

مع تحقيق كتب التراث

للدكتور أحمد سعيدان

(عضو المجمع)

تحت عنوان « مع تحقيق كتب التراث » . كتب الدكتور ابراهيم السامرائي ، في العدد المزدوج ١١ ، ١٢ ، من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، بحثا أشار فيه الى بعض أسس التحقيق . فذكرني ذلك بأمر كادت تنسيني اياه الأيام ؛ ذلك أن مشروع منهاج لتحقيق كتب التراث قد وضع ، في ندوة عقدت في بغداد ، من ٢٠ الى ٢٩/٥/١٩٨٠ ، بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد المخطوطات العربية) بالتعاون مع وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية . وقد ضمت الندوة نفرا ممن ترمسوا بتحقيق كتب اللغة والدين والتاريخ والعلوم ، كل في ميدان تخصصه . وكنت فيهم الممثل الوحيد لمحققي كتب العلوم ؛ ولكن كان الى جانبي بحث قيّم بعثه للندوة الدكتور سلمان قطايه ، استاذ الطب في جامعة حلب .

كان بين ايدينا ستة بحوث حول تحقيق التراث، أعدت للندوة بتكليف من معهد المخطوطات العربية ، هي :

- ١ — التراث العربي ومناهج تحقيقه — بقلم الدكتور أحمد سليم سعيدان .
- ٢ — ضبط النص والتعليق عليه — بقلم الدكتور بشارة عواد .
- ٣ — التخريج في التحقيق ، مع ملحق بعنوان : التعريف بنص مغمور في التحقيق النسخ — بقلم الدكتور حسين علي محفوظ .
- ٤ — علم تحقيق الوثائق — بقلم الاستاذ سالم عبود الالوسي .

٥ — حول تحقيق المخطوطات الطبية ونشرها — بقلم الدكتور سلمان قطايه .

٦ — التراث العربي — خطة ومنهج — بقلم الدكتور شكري فيصل .



انسجاماً مع هذه البحوث الستة رأينا ان نمضي في رسم مشروع المنهج من منطلقات أربعة هي :

١ — منطلق التقدير للفكر العربي الاسلامي ، والابداع الذي حققه ، في مختلف مجالات المعرفة ، من لفة وادب وعلوم وفن وفلسفة . فان يكن العالم ، لأسباب لا تخفى ، لا يولي هذا الفكر التقدير الذي يستحقه ، فان واجبنا نحن ، العرب والمسلمين ، الاضطلاع بنشر الفكر العربي الاسلامي على العالم وتبيان دوره في بناء صرح الحضارة الانسانية ، احقاقاً للحق ، واثاراً للحقيقة .

٢ — منطلق الايمان بقدرة الأمة العربية والأمم الاسلامية على بناء مستقبل امثل ، يمكنها من استئناف مسيرتها الحضارية كيما تعود ، كما كانت في عصورها الزاهرة ، قادرة مبدعة .

٣ — منطلق الثقة بأن التراث العربي الاسلامي هو قوة دافعة تبعث فينا قدراتنا الكافية المبدعة وتستجيش قواها لمواجهة الحضارة المعاصرة ، والمساهمة في رفد تيار الفكر العالمي ، بروافد خصبة معطاءة .

٤ — منطلق اليقين بأن اهتمامنا بتراثنا الفكري انما هو نظرة من يتعرف موطىء قدمه في سبيل احكام خطاه الى الامام . ان المستقبل لا يمكن ان ينفصل عن الماضي ، والتجربة الحضارية التي مرت بها الأمة

العربية طوال عصورها تجربة غنية بالدروس والعبر ، زاخرة بحواجز تسند تطلعاتنا للحاضر والمستقبل . وان معرفتنا لتراثنا قميئة بأن تبين مواطن القوة والضعف في بنيتنا الذهنية ؛ وهذا مما لا مناص من معرفته كي نحكم رسم خطتنا لبناء المستقبل الذي ننشده . وهذا يقتضي أن يكون تقييم التراث موضوعيا ، مجردا عن التباهي الاجوف والتضليل . بذا نضمن ان يكون تحقيق التراث سُلما للمعاصرة والابداع الذاتي ، شأنه في ذلك شأن التزود بالعلم المعاصر والتكنولوجية الحديثة .

ثم استعرضنا الجهود التي بذلت وتبذل ، لتحقيق التراث ، في الوطن العربي وخارجه ؛ فلاحظنا اننا رغم تقديرنا لهذه الجهود ، ومدى ما قدّمت في تمهيد السبيل لدراسات اوفى واشمل واعمق ، نراها **اولا** ما تزال بطيئة محدودة ، بالقياس الى تراثنا الضخم ، **وثانيا** بحاجة الى تنسيق ومنهجية واضحة تجعلها تضي متكاملة ، موحدة ، بعيدة عن التشتت وتباين المواقف ، وحسب خطة مرسومة تأخذ الاولويات بعين الاعتبار ؛ كما لاحظنا ايضا ان معظم هذه الجهود تنصبّ على التراث الادبي ، وقليل منها ما يتناول المخطوطات العلمية .

لهذا رأينا ان تحقيق التراث ينبغي أن تشرف عليه جهات امينة ، وان يتناوله القادرون عليه ، ولا يتناول اليه من لم تكتمل آداته اللغوية والعلمية والفنية . لذلك تقدمنا بالتوصيتين التاليتين :

١ — ان تُدرّس مادة تحقيق المخطوطات في جامعاتنا ، ولطلاب الدراسات العليا بخاصة ، في الكليات الادبية والعلمية ، بغية تخريج متخصصين في التحقيق ، مؤهلين له .

٢ — ان تنشأ في الجامعات والمجامع العربية فروع لمعهد المخطوطات العربية تؤدع فيها نسخ من الاعلام المصورة المحفوظة في مقر المعهد ؛ على ان تطوّر هذه الفروع حتى تغدو مراكز للبحث والتحقيق والنشر ، في مجالات متخصصة ، ان امكن ، مع بذل المكافآت التشجيعية السخية للباحثين والمحققين ؛ على ان تخضع اعمال المبتدئين بالتحقيق الى رقابة المسؤولين في هذه المراكز . وبهذا الصدد اطلعنا ، بتقدير واعجاب ، على موقف القطر العراقي الشقيق ، من تشجيع التحقيق ؛ اذ جعل التراث العربي اساسا لبناء الانسان العربي المعاصر ، واقامة حياة فكرية أصيلة ، تمضي بخطى حثيثة في سبيل الابداع الذاتي ، كما تشهد بذلك منشورات الجامعات العراقية ، والمجهر العلمي العراقي ، ووزارة الثقافة والاعلام . ولا عجب ، فمن العراق بدأت شعلة الفكر العربي الاولى ، من ايام الخليفة المنصور ؛ وفي البصرة والكوفة وضعت أسس الدراسات اللغوية العربية . وها هو العراق اليوم يستأنف مسيرة الخير ؛ سدّد الله خطاه ، وحيّاه .

بعد هذا ، انتقلنا الى وضع مشروع المنهاج الذي اجتمعنا من اجله ؛ ولكي يكون المشروع كاملا متكاملا ، قسمنا البحث الى مراحل هي :

- ١ — اختيار المخطوط للتحقيق .
- ٢ — جمع النسخ الباقية منه .
- ٣ — دراسة النسخ وتعرّف مراتبها من الصحة .
- ٤ — ضبط النص .
- ٥ — التعليق على النص .
- ٦ — مقدمة المحقق .
- ٧ — الفهارس .

٨ — الطباعة والنشر .

١ — اختيار المخطوط

لاحظنا ان تحقيق التراث في جملته لم يخضع سابقا لمنهج مرسوم للاختيار ، وانما هو يتم صدفة ، او حسب الظروف ؛ فكان ان نُشر ما كان حقه التأخير ، وأُخِّر ما كان حقه التقديم ؛ ولاحظنا ان مخطوطات حُتَّت ونُشرت أكثر من مرة ، من غير مسوغ لذلك ؛ هذا بالإضافة الى تحقيقات اساءت للمخطوطات ، جهلا بأصول التحقيق ، او تهاونا بالامانة العلمية واحترام النص . ولهذا كله أُقِرَّت التوصيات التالية بصدد اختيار المخطوط للتحقيق :

١ — تقديم الأهم على الأهم ، والأصول على الفروع والمختصرات ، وتقديم ما لم يُنشر على اعادة ما نشر ؛ الا اذا لم يراعَ في تحقيق ما نشر قواعد التحقيق والنشر ، أو كشف النقاب عن نسخ جديدة لما نُشر تقتضي تصحيحا في النص .

٢ — يناط بمعهد المخطوطات العربية اختيار مجموعات من المخطوطات الأصول التي يرى المختصون ضرورة تحقيقها ونشرها ؛ فيُجمَع نسخها ويُوَزَّعها على مراكز التحقيق المعنية ، تيسيرا للمحققين .

٣ — يولى التراث العلمي عناية خاصة ؛ ونحبذ ان ينشأ له مركز في قطر عربي ، له فروع في الاقطار الاخرى التي يتوافر فيها محققون علميون ، وان يتفرغ للتحقيق علماء قادرون عليه ؛ على ان تهيأ لهم اسباب التفرغ ، مادة ومعنى .

٢ - معرفة نسخ المخطوط وجمعها :

كثيرا ما يتعذر على الباحث والمحقق الحصول على صور من النسخ الموجودة للمخطوط الذي يتم اختياره للتحقيق ، لذا رأينا ان على معهد المخطوطات ان ينهض بالامور الآتية :

١ - ان يتعرف مَظَانَّ المخطوطات القيمة في البلاد التي لم يصل بها اسبابه بعد ، وان يتخذ الوسائل التي تضمن الحصول على نسخ من هذه المخطوطات .

ب - ان يفتح فهرس تفصيلية تُعرَّف بالمخطوطات التي يظفر بها ؛ وينشر هذه الفهارس على مراكز التحقيق المعنية .

ج - ان يضع فهرسا موحدا ، شاملا لما دُوِّن في فهرس المكتبات العامة والخاصة ، بدءا بالموضوعات العلمية ؛ ثم يليها ما هو الزم من الموضوعات الاخرى ؛ على ان يعهد بوضع هذا الفهرس الى لجان متخصصة ، متفرغة .

فالى ان يتم هذا في معهد المخطوطات ، لا مندوحة للباحث من الرجوع الى مؤلفات سزكين، او بروكلمان، للتعرف على النسخ المتوافرة من المخطوط ، ثم يحاول الحصول عليها ، عن طريق معهد المخطوطات ان امكن .

٣ - دراسة النسخ وتعرُّف مراتبها من الصحة :

بعد الحصول على نسخ المخطوط ، تأتي المرحلة الاولى من التحقيق ، وهي دراسة النسخ ، لتحديد النسخة « الأم » او ما هي في منزلتها ، لاعتمادها أصلا في التحقيق ؛ ثم تعرف النسخ الاخرى وتصنيفها ، وتحديد مراتبها من الصحة والتوثيق . وذلك وفق القواعد الآتية :

١ - الأصل ان تكون النسخة الأم هي النسخة التي كتبها المؤلف نفسه ،
ان وجدت ، أو أملاها . ولكن المؤلف كثيرا ما يعاود كتابة النص ،
فيغير فيه ؛ فيتعين على المحقق ان يتبين ذلك . فان لم تصل اليها
نسخة كتبها المؤلف . فالأمر نسخة عليها خطه ، والأمنسخة
كُتبت عن نسخة المؤلف وعرضت بها ، والأمنسخة كُتبت عن
نسخة وثقها المؤلف .

٢ - ان لم يعثر المحقق على نسخة مما سبق ، فافضل النسخ الباقية
نسخة كتبها عالم متقن ضابط . فان لم تتوفر ، فعلى المحقق ان
يستفيد مما تجميع لديه من النسخ ، وكثيرا ما يكون اقربها اقربها
من نص المؤلف ، واقلها سهوا أو اخطاء . ولكن الاقدم كثيرا ما
نجدته قد تعرض للتلغف . ولأن اول مهام المحقق تقديم النص الذي
كتبه المؤلف أو املاه ، فعليه ان يحصل على ما يرجح انه هو النص
بمقارنة هذه النسخ ، وسد ما في النسخة المعتمدة من نقص ، مما
في سواها . ودراسة النسخ تهدف الى امرين : اولهما تحقيق
نسبة النص الى صاحبه ، والثاني تحقيق ان النص الذي بين يدي
المحقق هو نص المؤلف .

ويتحقق ذلك من درس النسخ ونصوصها ، ومن الكتب التي
نقلت عن النص ، ان وجدت ، ومما قاله عنه من ترجموا للمؤلف
او كتبوا عنه .

٤ - ضبط النص

بعد الحصول على ما يراه المحقق اقرب لان يكون نص المؤلف ،
وتوثيقه ، بمقارنته بما نُقل عنه أو قيل فيه ، يأتي دور ضبط النص .
ويجري ذلك حسب الخطوات التالية :

— يبدأ التحقيق بنسخ المخطوط . وينصح المحقق بأن يتولى النسخ بنفسه ؛ اذ يتيح له ذلك التهدي الى مشكلات النص وحلولها .

وعلى المحقق ان يلتزم قواعد الكتابة المتفق عليها قديما ، الا في اشياء درج عليها المعاصرون ؛ مثل كتابة « مئة » و « الحارث » و « اسحاق » ؛ ونقط الياء المتطرفة ، للتفريق بينها وبين الالف المقصورة ،

وعليه ان يدوّن في المقدمة ما درج عليه كاتب النسخة من رسم في الكتابة مميز ، مع ذكر امثلة ، ولا سيما مما غاير فيه الناسخ .

ب — ونوصي المحقق بما يأتي :

١ — كتابة النص بحسب معانيه ، فتقف الكتابة عند انتهاء المعنى ، ويبدأ سطر جديد .

٢ — استعمال النقط والفواصل والخطوط وعلامات التنصيص والتعجب والاستفهام والاقواس ، وغير ذلك مما يساعد القارئ على القراءة بفهم .

٣ — شكل الكلمات التي قد تلتبس على القارئ .

٤ — كتابة ارقام صفحات النسخة المعتمدة في صلب النص ، بين حاصرتين أو قوسين ، مشيرا للمقابلة .

٥ — ترقيم الاسطر ترقيما خماسيا تسهيلا للمراجعة .

٦ — استعمال الاقواس المزهرة لآيات القرآن الكريم ، وقويسات للأحاديث النبوية والنقول واسماء الكتب ، وما شابهها .

٧ - وضع ما يستدركه المحقق على النص بين حواصر متميزة أو معكوفات .

ج - الضبط

يتمين على المحقق ان يشكل من الالفاظ ما اشكل ؛ هذا بالاضافة الى الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، والامثال والشواهد والمشتبه من الاعلام ، والغريب من الالفاظ ، وما قد ينهم او يلتبس من المصطلحات ؛ مستعينا بالمراجع المتخصصة ، والصادر الموثوق بها .

هـ - التعليق على النص

على المحقق اتباع ما يأتي :

أ - اثبات فروق النسخ ، مع ترجيح ما يراه الأصح ، وتعليل ترجيحه . ولكن يراعى تجنب الاغراق في ذكر ما لا يفيد ذكره من الفروق . ويراعى ايضا التنبيه على ما يحتل من النصوص قراءتين أو أكثر ، مع التعليل عند الترجيح ، موثقا بالدليل .

ب - التعريفات : يعرف المحقق ، من الاعلام والمواضع وما في حكمها ، ما يحتاج الى تعريف ، من غير استقصاء ولا اغراق ؟ فلا يعرف ما هو معروف لدى أكثر المتخصصين .

ويستحسن احيانا تزويد المقدمة بخارطة تبين مواقع المواضع التي ترد في النص .

ويؤدون في الحاشية اسم الكتاب موجزا ، مع ذكر الجزء والصفحة . ويحال ما يتعلق بالمعاجم المرتبة على الحروف ، على

المادة ، لا على الأجزاء والصفحات ، ما عدا معاجم المعاني ،
وما شابهها .

ج - التخريج :

الهدف من التخريج التوثيق والتصحيح . ولذا يُقتصر^{١٥١} في
التخريج على ما يحقق هذين الهدفين .

ويكون التخريج في الآيات والاحاديث والشعر ، والنقول
بكافة .

ويوصى المحقق بتوثيق مواطن النقول في النص ، ضبطا او
تكملة ، واثباتا للخلاف في الرواية ، حيث يكون ذلك مفيدا .

اما في الآيات الكريمة فيُذكر اسم السورة ورقم الآية . وفي
الاحاديث النبوية الشريفة يكتفى بالتعليق عليها بما يفيد اظهار
درجة الحديث وتحديد مرتبته ، استنادا الى المصادر الموثوق بها .

واما الشعر فيُرد الى موضعه من الديوان ، ان كان مطبوعا ،
والا تَعَيَّن ذكر المصادر المعروفة التي اوردته ، وذلك حين يكون
هذا الشعر يحتج به في متن اللغة ، او يستشهد به في علوم العربية
واما النقول فيشار الى مواضعها ما امكن .

واما الافكار العلمية فيشار الى موضعها في السُّلم الحضارية
ومدى تأثرها بما سبق، وتأثيرها فيما لحق .

د — التنبيه على الاوهام

كثيرا ما يخالط عمل أي مؤلف بعض الاوهام . فاذا وقع المحقق على وهم من هذه الاوهام ، وجب التنبيه عليه ، مع التروّي ، والتزام جانب الحذر والتحقق . فلا يُتَمَجَّلُ في أمور لها ما يجوزها ، أو حالات لها ما يبررها ، أو طُرْفُ ترد مورد الهزل لا الجد .

ويكون موضع التنبيه في الحاشية ؛ ويثبت المحقق في المتن الوجه الصحيح الذي اطمأن اليه ، الا ان يخالطه شيء من التردد ، أو يغلبه جلال مكانة المؤلف عنده ؛ فحينذاك يترك المتن كما أورده الناسخ ، ويقترح التنبيه في الحاشية .

٦ — مقدمة المحقق

يضع المحقق مقدمة للكتاب يراعي فيها ما يأتي :

١ — تعريف المؤلف المشهور تعريفا موجزا ؛ على أن نذكر لمن يريد التفصيل أهم المصادر التي تترجم له . أما من لم يُعْنِ أحد بالكتابة التفصيلية عنه ، فيأتي المحقق بترجمة تفصيلية له .

٢ — وصف موضوع الكتاب ، وما كتب في منه ، ومكانته بين هذه الكتب . والكتب العلمية يصعب على غير المختص فهم نصوصها ، لذا فعلى محقق الكتاب العلمي واجب تلخيص مادة النص ، في المقدمة ، بلفظة العصر ، حتى يعرف فحوى الكتاب المحقق من لم يهيا لدراسة النص مباشرة .

٣ — شرح منهج الكتاب ؛ فصوله وأبوابه ومحتوياتها .

٤ - وصف نسخ الكتاب ، والنسخة المعتمدة ، وبيان مواضعها في المكتبات ، وما دُون عليها من وقفيات وتملكات وسماعات ، ونحو ذلك .

٥ - أية أمور أخرى يرى المحقق اضافتها حول اسلوب المؤلف، ودقة الناسخ، ووضوح الخط، وما شاكلها .

٧ - الفهارس

ينبغي فهرسة كل ما يمكن ان يفهرس في الكتاب المحقق : الآيات الكريمة ، والاحاديث الشريفة، والامثال ، والاعلام ، والكتب التي ذكرها المؤلف او أخذ عنها ، والكتب التي رجع اليها المحقق في التحقيق ؛ مع ثبت بالمصطلحات العلمية والفنية الواردة في النص ، وتعريفها .

ويراعى في فهارس الاعلام ما يأتي :

يبدأ فهرس الاعلام بالاسماء المبدوءة بالفاظ ابن ، ثم ابنة ، ثم أبو ، ثم أم ، ثم بنت . ولا تذكر هنا الصفحات ، اذا كانت الاسماء معروفة ، وانما يحال على الاسم في موضعه من تتالي الحروف الهجائية . فالحكم « أبو اليمن الكندي » يذكر في « أبو اليمن » ويذكر اسمه الى جانبه : « زيد بن الحسن » ، ويحال عليه . أما ارقام الصفحات فتذكر في حرف الزاي ، مقابل « زيد بن الحسن » .

ثم تبدأ فهرسة الاسماء حسب ترتيب حروف الهجاء ، بدءا بالهمزة المدودة ، مثل آدم ، ثم ما يكون بعد ذلك، والالفاظ التي تداخلها الهمزة يراعى في موضعها الحرف الذي توضع عليه الهمزة .

وفي فهرس المصادر يُذكر اسم الكتاب كاملاً ، واسم مؤلفه ومحققه
أو مترجمه ، ثم مكان الطبع وتاريخه ، الهجري أو الميلادي ، بحسب ما
دُون على الكتاب . أما المصادر الأجنبية فيجري تدوينها على النظام
الأجنبي .

ولا مكان في الفهرس لالقب التكريم والالقب العلمية .

٨ — الطباعة والنشر

ينبغي الانتفاع بأساليب الطباعة الحديثة، شرط تطويعها للحرف
العربي بما يضمن المحافظة على أصالته وجماله ، وبما يحقق احتمالاً
للشكل في موضعه المناسب من الحروف ، دون إبهام أو إيها .



هذه خلاصة المشروع كما اتفقنا عليه ، وإن في البحوث الستة التي
قدِّمت للندوة لأفكاراً قيمة لم يتناولها المشروع، فنعسى أن يقوم أصحابها
بنشر بحوثهم كي يطلع عليها من يعينهم الأمر .

أحمد سليم سعيدان